غان
حسين حسين النائلي

غان

حسين حسين النائلي

الفصل الأول

حينما تُسدل ستارة النهار، وتختفي الشمس عن الأنظار، يستيقظ في منزل آل علي ضيفٌ غير مرحب به. فهنا تعيش عائلة من خمس جرذان منذ ما يزيد عن عامٍ وربع. هاهو فأرور الأخ الأكبر ذو اللون الرمادي الموروث من أمه ينطلق للثلاجة ليرى ما الجديد بها. بينما تتسلل فأرورة ذات اللون الأسود الموروث من أبيها إلى خزانة الملابس لتأخذ قطعة من فستان السيدة (سلامة) الجديد.
وتوصيها امها: خذي قطعةً من منتصف الفستان، وسأخيطها لكِ.

جميع الأولاد ولدوا بهذا المنزل ونشأوا به، ولم ترَ عيونهم العالم الخارجي كوالديهم. فقد وفر لهم هذا المنزل الفسيح جنةً آمنةً، بها الطعام والأمان، فلا خطر على العائلة غير مصائد الفئران التي تضعها سلامة كل يومٍ تقريبا، لكنها بالنسبة لهذه العائلة، سخيفة ولا يقع بها غير الاغبياء.

وانطلق جرذون، وهو الابن الأصغر ومدلل أمه، وذو لون ابيض بشكل جعله غريبا، لغرفة الطفل كيان، ليجرب سيارته، التي جلبها من رحلته العائلية الأخيرة. سحب جرذون وسائد الأرائك بأصابعه الصغيرة، ورتبها عموديًّا، ليصنع منها عموداً يوصله لمقبض الباب. دخل بحماس، وركب السيارة، وبمجرد صغطه للزر انطلقت السيارة، مُحدثةً ضجة بكل البيت، وراح الأبوان يصرخان محذرين، لكن جرذون بهذه اللحظة قد فقد السيطرة تماماً.
صرخ جرذون خائفا: ساعدوني!!
هتف الأب: لفّ الموقد يا جرذون لفه.

وقفز فأرور محاولاً الوصول لكرسي القيادة، لكن السيارة صدمته. وحاول جرذون ايقافها فزادت الفوضى، ودخلت السيارة مسرعة للمطبخ، فصدمت (الكاونتر)، فسقطت الصحون محطمةً على الأرض، وسمعت العائلة صراخ سلامة التي أستيقظت من نومها منزعجة من الصوت.
الأم: اهربوا يا أولاد.
الأب: بسرعة يا جرذون.

نزل جرذون من السيارة، بعدما توقفت إثر الاصطدام، وصعدت العائلة بسرعة للمخزن. بينما كانت سلامة توقظ عليّا من نومه، وهي تلومه بغير سبب على تحطم صحونها العزيزة.
سلامة: تُلعن هذه الشياطين الصغيرة
عليّ وهو يتثاءب وبالكاد يفتح عينه: كيف عرفتِ انهم السبب ؟
زاد غضب سلامة أكثر: ومن حرك السيارة لهنا ؟ إبليس ؟
علي: لم اسمع بجرذان تقود سيارات
سلامة: وما ادراك أنت الذي لا تهتم بما يحدث هنا، رأيت ذلك الجرذ الأبيض يقود سيارة كيان مرةً... جد لي حلاً فوراً
فرد علي ساخراً: سأجلب بُندقية صيد غدا🤦
فغضبت سلامة أكثر وأكثر: تسخر مني تسخر؟ آه، عد للنوم عد يا عديم الاحساس.

وكانت عائلة جرذون تستمع للكلام، من الاعلى. وكان الأب يوبخ جرذون على فعلته هذه، ومنعه الخروج لبقية اليوم. غير أن الأم كانت تدافع عنه كعادتها.
قالت فأرورة لجرذون: لا تقلق، سوف تخرج بعدما تهدأه ماما.
فرد جرذون بسعادة طفولية: حقا؟
فضربت فأرورة رأسه وصرخت: بالطبع لا أيها الاحمق، أفسدت عليّ فستاني الجديد😡

وعادت العائلة للأسفل بعدما نظفت سلامة الفوضى، وراحوا يصعنون فوضى جديدة، ويأكلون ما يرغبون، بينما بقي جرذون بالمخزن كعقابٍ له.

في اليوم التالي، وفي ساعات الظهيرة، وهي الفترة الافضل للنوم لدى الجرذان، قدمت الأم للمخزن مهروعةً وهي تصرخ بالمصيبة التي حلت عليهم، فاستيقظ الجميع على صوت الأم، التي سحبتهم بأوامرها إلى الدرج، حيث اشارت للأسفل، ففزعت فأرورة، واحتضن جرذون أمه خوفا، لقد اشترى علي قطًّا برتقالي اللون ضخم البنية، وراح يتفاخر به امام سلامة ليُهدأ من غضبها.
فقال بفخر: سيسمك بشبش كل فرد من تلك الشياطين الصغيرة، ولن يزعجوك بأي شيء بعد اليوم.

مرت الأيام بثقلٍ على عائلة جرذون، مُنع الأولاد من الخروج من المخزن، ومنعت الأم أي لعبة تُصدر اصواتاً عالية، واقتصر الخروج على الوالدين، لجلب الطعام والماء لا غير. كان بشبش قويّا وسريعاً وماكراً حد النخاع. في إحدى الليالي، نصب فخًّا للوالدين، عن طريق الاختباء بالثلاجة، وعندما فتحتها الأم انقض عليها، واستطاع الأب بصعوبة بالغة انقاذها، باستخدام ليزر وجده بالمخزن. عندما عاد الوالدان بتلك الليلة المشؤومة، لم يشاركا بلعبة صراع الاذناب كالعادة، وإنما ابتعدا وراحا يتناقشان بسرية، مما سمعه فأرور وفأروة (بالتنصت) أن الاب أراد هجران المنزل، والبحث عن مسكن آخر، لكن الأم عارضت الفكرة بشدة. وفي تلك الليلة نامت العائلة على بطون خاوية، إذ رفض الأب استخدام المخزون بحجة أنه للحالات الطارئة فقط.

أيقظ جرذون أمه بهدوء، في ظلام الليل، بعدما قضى ساعات يحاول النوم بلا جدوى، وطلب من امه بخجل، بعض الطعام. لم تقدر الأم على رفض طلبٍ لابنها المدلل،فأيقظت زوجها قائلةً:
- لنحاول جلب بعض الطعام.
فرد الأب وهو نصف نائم: هل جننتِ؟ أتريدين الموت ؟ باكاد نجونا
اصرت الأم قائلةً: أولادنا بلا أكل، علينا المحاولة، هيا سيكون نائما بهذا الوقت.
نهض الاب متثاقلا: آهٍ من نكد الإناث.

جهز الأب الخطة وشرحها للأم محاولاً التبسيط: سوف ندخل للمطبخ، ونتأكد من عدم وجود بشبش، سأحرس انا الباب، وانت تجلبين أي شيء من الثلاجة، ونهرب فوراً... مازلتُ أتمنى أن أذهب بمفدري.
الأم: لن يحدث هذا، نحن معا دوماً، تنقذني وانقذك، وقبلته.

انطلق الأبوان، نزلا الدرج بهدوء تام، تأكدا من عدم وجود بشبش بالصالة، ثم فتحا باب المطبخ الخشبي ببطء، وراحا يفتشان المطبخ، حتى تأكدا من عدم وجوده.
الأب: لا اظنه هنا.
الأم: أيعقل أن يكون بالثلاجة ؟

الأب: يستحيل أن يكرر ذات الخدعة مرتين... اذهبي سوف اراقب الباب.
فتحت الأم باب الثلاجة الرمادي، بخوف شديد، وعندما لم تره يقفز تجاهها، تنفست الصعداء، اخذت تنظر للثلاجة للاختيار، وطلب الاب منها الاسراع، فقفزت نحو سلة التمر (لأنها الأكلة المفضلة لدرى جرذون) وفورما لمست قدماها الثلاجة ادركت انها وقعت بفخ بشبش.
صرخت الأم: ساعدني بسرعة
تقدم الاب نحوها وسأل: ماذا حدث ؟
الأم: لا يمكنني الحراك تعال بسرعة... لابد انه صمغ. يا إلهي!

ركض الاب مسرعا نحو حاملة الملاعق، أخذ واحدة غير آبهٍ بالصوت الذي صدر من سقوط بقية الملاعق، امسك الملعقة بذيله، ومده بأقصى ما يقدر عليه، كانت المحاولات الاولى فاشلة لسحبها دون أن يعلق معها، ولكن وبصعوبة بالغة استطاع أن يصل بمد كامل جسمه لها، وأمسكت الملعقة. وقبل أن تختفي ملامح الفرح من وجيهيهما قفز عليهما بشبش من حيث لا يعلمان.

الفصل الثانـي

تحت ضوء المصباح الخافت، وبين أغراض المخزن المتناثرة، جلس جرذون وفأرورة، بانتظار عودة فأرور، المحمل بأخبار عن أبويهما. كانت قطرات المطر الخفيفة تتسرب من فتحة تهوية صغيرة أعلى الجدار المقابل للباب. وكان القلق في أعلى مستوياته، إثر عدم عودة الأبوين، رغم شروق الشمس.

بخطى متثاقلة، ومحاولات فاشلة لكبح الدموع، دخل فأرور المخزن، فاستقبله جرذون وفأرورة، وقد أحسا بالخبر قبل اعلانه، من ملامح وجهه.
قال فأرور بصوت خافت: أكل بشبش أمنا وأبانا!
وانهالت الدموع من ثلاثتهم كشلالٍ غذى نهره مطر الشتاء، ونزل الحزن عليهم كما نزل المطر الهاطل خارجا. لم يعرفوا مواساة أنفسهم، فأخذ كل جرذ منهم زاوية، وانهال بالبكاء بمفرده، متذكرا ما لذ له من ذكريات مع أبويه. وأكثر من تأثر بهذه المصيبة، هو جرذون الذي اعتبر موتهما كان بسببه، وأنه مذنب، رغم محاولات عديدة من فأرور وفأرورة لنفي هذه الأفكار.

خوفاً من بشبش لم يخرج أحد من المخزن لأيام. إذ اعتمد الإخوة على مخزون الطوارئ بالكامل. لكن بشبش لم يتركهم غارقين بحزنهم، فأخذ يقترب من المخزن عدة مرات. وفي فجر إحدى الليالي المقمرة، لم يكتفِ بشبش بالاقتراب، بل قفز ليسحب مقبض باب المخزن، ودخل للمخزن، اختبأ فأرور وفأرورة تحت خزانة ملابس قديمة، بينما دس جرذون نفسه في كيسٍ مليء بالملابس الصيفية. أخذ بشبش جولة في المخزن، وشمشم عدة أماكن، بأنفه الوردي الفاتح، ثم خرج بعدما فشل بشم رائحة الإخوة، بفضل فأرور الذي ذرَّ الكركم والبهارات في كامل ارجاء المخزن.

غدا المنزل غير آمنٍ للإخوة. والأكل أوشك على النفاد. فكان على فأرور، الذي يمكن القول أنه أصبح رب الأسرة بعد موت الأبوين(غير انه أقل كفاءة) أن يجد حلًّا. فنادى فأرورة أخويه، في منتصف النهار، قاطعا عليهما قيلولة النهار، التي غدت أقصر وأقل راحة بكثير. وقال لهما بحزمٍ مصطنع:

- لابد لنا من مغادرة هذا المنزل.
ففزعت فأرورة وقالت: يا ويلي 😰، إلى أين؟ وكيف سنعيش ؟
فرد فأرور محاولاً إظهار المنطق خلف قراره: إلى أي مكان بعيد عن أنياب بشبش ومخالبه.
فأرورة: لك... لكن لا أمل لنا بالعيش إذا خرجنا... نحن لم نرَ العالم الخارجي من قبل
فوافقها جرذون: قالت أمي أن في الخارج كائنات ضخمة تدعى الكلاب، وفمها يسع خمس جذران دفعة واحدة.
تردد فأرور قليلا ثم حسم الأمر: إن بقينا هنا ففم بشبش سيسعنا بالتوالي. جهزا حالكما سوف نخرج ليلا لإيجاد مسكن جديد لنا.

فارقت الشمسَ السماءُ، وأخذ القمر والنجوم مكانهما، وتجهز الإخوة لتوديع المنزل الذي لم يروا غيره طيلة حياتهم القصيرة. أخذ كل جرذ معه بعض الحاجات المهمة، وأخبئوا البقية بأماكن خاصة، لأخذها إن رجعوا يوما لهذا البيت. عن طريق القفز من على خزانة الملابس القديمة، وصلوا لفتحة التهوية، وعقد فأرور خيطاً قطنيًّا بمسمارٍ دقه قبل ساعات، وانزل الخيط. وعندما لم يرَ حماساً من أخويه، تمسك بالخيطِ وانزلق للأسفل. نظرت فأرورة لجرذون بعدما ملت من انتظاره وهتفت: دورك
جرذون: شنو؟😦 لماذا؟ أولست أكبر؟
فأرورة: أنا فتاة رقيقة جميلة 💅
جرذون: البشر يقولون دائما: النساء أولا
فضربت فأرورة رأس جرذون وقالت: مذ متى تسير بكلام البشر 🤨
فقبل جرذون مرغماً، بلع ريقه، ونظر للمسافة العالية، فزاد خوفه، ولم يقفز حتى صرخ عليه فأرور، فأمسك الخيط بأصابعه وانزلق وهو يصرخ:
- سأموتتت!!
وبعد تردد، نزلت فأرورة بخوف أقل من خوف جرذون.

جعلت السيارات المسرعة وأنوار البيوت والمحال، التي طغت على أنوار القمر والنجوم، الجرذان يصابون بالدهشة من العالم، فتجمدت أجسادهم، وتحررت أعينهم لتسرق انعكاس أكبر قدر ممكن من الأشياء التي عدوها مدهشة.
جرذون: واووو 🤩 هذا هو العالم الخارجي.

فأرورة بدهشة: أنه أكبر من المنزل بعشرة أضعاف... لا عشرين، خمسين، لا ادري لكنه واسع.
صرخ فأرور بأعلى صوته قاطعا دهشتهم: اهربواااا

انطلق الإخوان بكل سرعتهم، و طاردتهم قطة رمادية اللون. كانت مطاردة عبر الأزقة والأحياء. كانت القطة رشيقة وسريعة، أما الإخوة فلم يمدهم بالطاقة غير خوفهم من أن يصبحوا عشاءً لقطة الشوارع هذه. بمناورة ذكية من فأرور، استطاعوا جعل القطة تصطدم بعمود الكهرباء، لكنها سرعان ما استعادت توازنها واستأنفت المطاردة. وقفت سيارة سوداء بباب مفتوح، لم يكن أمام فأرور اي خيار إلا أن يأمر اخوته بالدخول للسيارة، وقد فعلوا، ولم تتجرأ القطة على صعود السيارة، لأنها لمحت مالكتها قادمة.

كانت مالكة السيارة امرأة بالثلاثين من عمرها، تركت باب السيارة مفتوح لنقل كمية الأغراض الهائلة التي اشترتها من المول، من عربة التسوق لداخل السيارة. وكانت سيارتها حديثة الطراز، كثيرة الامكانيات، لدرجة أن الإخوة تعجبوا من جمالها، وهنا تذكر فأرور قصة حكتها له أمه، فنادى أخويه كي يبتعدا عن آذن المرأة، وهتف:
- سوف نعيش بمنزل هذه المرأة... قد لا تتذكرا قصة إيجاد والدينا لمنزل آل علي، لقد عرفا أن حال هذا الرجل ميسور من خلال طراز سيارته.
فأديه جرذون بعدما تذكر القصة: صحيح صحيح ، اذكر هذا، قالت كلما كانت سيارة الإنسان افخم وأجمل كلما كان طعامه أكثر وبيته أكبر.

انطلقت السيارة، وبقي الإخوة مختبئين حتى وقفت أمام بيت عصري التصميم، ضخم المساحة. وفي لحظة أعد فأرور خطته لأجلها، قفز الإخوة من النافذة الخلفية. وتسللوا لحوش المنزل الواسع. دخلت المرأة للبيت، بينما تركت مهمة إنزال المشتريات لولد وفتاة صغيرين. تسلق الإخوة نافذة الصالة ليلقوا نظرة على المنزل الذي يأملون أن يصبح مسكنا لهم، وفُتحت افواههم بأقصى اتساع عندما ابصروا المرأة تحتضن قطة منزلية خبيثة العينين، وتداعب كلبا قزما كما لو كانوا ابناءها. ليهربوا لحاوية نفايات برتقالية، موجودة أمام المنزل ومعهم آمالهم التي تحطمت بنفس السرعة التي بُنيت بها. وقرروا تأجيل البحث للنهار، إذ اعتقد فأرور أنه أكثر أمانا. فاقتربت أجسادهم من بعضها البعض لإيجاد

الدفء، وخلدت تلك الأجساد التي غدت هزيلة، للنوم بلا سقف يقيهم ولا غطاء يدفئهم.

في ساعات الفجر الباكر، أستيقظ فأرور وفأرورة على صوت نقر ورفرفة أجنحة. كانت حمامة بيضاء بأجنحة بنية مائلة للسواد تأكل من كيس القمامة، متجاهلة الجرذان تماماً. فقالت عندما لاحظت استيقاظ الجرذان وكان كلامها سريع كأن عملا مهما ينتظرها:
- هل أيقظتُ الضيوف الصغار ؟ آسفة آسفة، لستم من هنا أليس كذلك ؟ من أين قدمتم؟
أستغرب فأرور من سرعة كلامها وسكت قليلاً ثم أجاب: نعم، لسنا من هنا، نحن نبحث عن مسكن لنا.
الحمامة: منزل منزل، فهمت فهمت... في الحقيقة هذه منطقة راقية من بغداد، لذا التنافس بين الحيوانات للعيش هنا عالٍ.
فأرورة: أسوف نحصل إن ابتعدنا من هنا ؟
اسكت فأرور فأرورة وتولى الكلام: حسنا يا... يا آنسة حمامة تشرفنا بلقائم، لدينا عمل كثير، وداعاً
رفرفت الحمامة بأجنحتها وقالت: مع الأسف انكم لا تحبون أخذ المساعدة، أنا أعرف عدة أماكن جيدة للسكن في هذه المنطقة، حسنا إلى اللقاء.
فصرخ فأرور يائسا: حقاً ؟ تعالي تعالي دلينا عليه أرجوكِ...ما اسم البشري الساكن به على الأقل ؟
وظن أنها قد غادرت، غير أن الحمامة عادت بوجه ساذج وحطت قرب جرذون النائم وقالت:
- بشري ؟ لا تحتاجون لهذا، لدي مكان خارجي رائع
فأرور: كلا كلا، نريد مسكنا في بيتٍ بشري، العيش في الشارع خطير... هل يمكنك مساعدتنا ؟
وضعت الحمامة جناحها على كتف فأرور وقالت: يا صديقي الصغير، العيش في بيوت البشر ميزة لا يحصل عليها إلا أنواع محددة من الحيوانات، وإن اردت العيش بلا إذنٍ، فسوف تجد عشرات المصائد والقطط لصيدك، عش حرًّا تحت السماء، لا تحت سقف بشري بذلة.
ثم اقتربنت من فأرورة واكملت بلهجة توضح أنها تحاول استغلال الجرذان: لديّ مكان يطلُّ على محال تجارية، مهجور مذ زمن بعيد.

نظرت فأرورة بحيرة لأخيها وسألت: ما رأيك ؟
وكان فأرور حائراً هو الآخر، كان يأمل بالحصول على منزل بأسرع وقت ممكن، وبعد مدة صمت قصيرة قال:
- يمكننا أخذه مؤقتا والبحث عن منزل على مهلنا.
الحمامة: ياللحكمة👏👏 رائع رائع... والآن الثمن
فهتف فأرور وفأرورة بذات الوقت: ثمن؟!!
الحمامة: طبعا طبعا لا شيء مجاني بالخارج يا اصدقائي الصغار، لكن لا تقلقوا طلبي بسيط... هل ترون ذلك المتجر الصغير-واشارت لمتجر صغير أمام الحاوية - أريد أن تسرقوا لي منه كيس مكسرات.
فأرور بحيرة: مكسرات؟
هزت الحمامة رأسها وقالت: نعم نعم مكسرات.
فأرورة: الآن ؟
الحمامة: كلا، أحبه بعد الغداء، اسرقوه وسآتي لكم بعد الغداء،
ثم مدت جناحها الأيمن وقالت: اتفقنا ؟
تردد فأرور قليلاً، ثم صافحها.

على عكس المتوقع، كانت سرقة كيس المكسرات سهلة، بلا عوائق. ما حدث باختصار، أن فأرور وفأرورة أثارا انتباه البائع العجوز، الذي ركض خلفهما بالمكنسة، مما أتاح لجرذون التسلل وأخذ كيس المكسرات، ومعه مصاصة بطعم البرتقال، لم يقدر على مقاومة تغليفها. وانتظر الإخوة في حاوية النفايات. حتى توسطت الشمس السماء الصافية.

رفرفت أجنحة الحمامة في السماء، قبيل الظهر، ونزلت وألقت السلام على الإخوة بسرعة الكلام المعتادة:
- سلامٌ على أصدقائي الصغار.
همس جرذون لفأرورة: رموشها غريبة كما قلتِ.
سلم فأرور كيس المكسرات للحمامة، التي فرحت به، وفتحت بأرجلها و بمنقارها، وراحت تلتهم كل حبة به، بسرعة تضاهي سرعتها بالكلام. انتظر الإخوة حتى اكملت الحمامة كيس المكسرات ، التي مدحته كثيراً.
فأرور: لا يمكننا الطيران، فطيري بانخفاض وبأماكن خالية من فضلك.
الحمامة: ويحك يا صغير، اتبعوني ولا عليكم بالباقي.

بدأ المسير، وطارت الحمامة، بشكل منخفض وبطيئ، في أزقة بغداد، وشوارعها. وكان الإخوة يحاولون التخفي، أو الهروب من كل شيء قد يكون تهديدا. ولم يتعرضوا لخطرٍ كبير طوال الطريق، إلا مرة واحدة، ركضت خلفهم بها قطة منزلية، ولكن لحسن كانت هذه القطة هي (كيتي) صديقة الحمامة، فتركتهم وولت أدبارها.

في زقاق من أزقة بغداد العتيقة، وقرب ساحة نفايات، وقفت سيارة قديمة الطراز، حمراء اللون، مهترئة الهيكل، وحدها بين أكوام القمامة. حطت الحمامة على سقف السيارة الصدِئ وهتفت:
- هذا هو منزلكم يا اصدقائي الصغار، سيارة برازيلية مرمية هنا منذ عقود.
وعندما رأت تعابير السخط على وجوه الجرذان، دعتهم بإلحاح للداخل، ليروا ما تحويه هذه السيارة، وهي تكرر جملة(لا تحكم على الكتاب من غلافه) بسرعة كبيرة تُفقد الجملة معناها. وسرعان ما تحولت تعابير السخط لانبهار واسع، حجم السيارة كان كبيراً، ومقاعدها الممزقة القماش كانت مريحة لأصدقائنا، وحتى أنها تحوي أماكن تخزين كثيرة. ففرحوا وغبطوا لدرجة نسيان وجود الحمامة تقريبا. فراحوا يقسمون السيارة فيما بينهم، فأخذ فأرور مقعد السائق غرفةً له، وحصل جرذون على المقعد الذي بجانبه، بينما كان لفأرورة حصة الأسد، إذ اخذت المقاعد الخلفية كلها، وعللت هذا بقولها:
- الفتيات يحجن مساحة كبيرة للاعتناء بجمالهن.
فأرور: لقد نجحنا، حصلنا على منزل.
نظرت فأرورة للحمامة التي كادت تموت ضجرا: أجل أجل، والفضل لك يا... ما اسمكِ
الحمامة: لاحظتم وجودي وأخيراً، يمكنك مناداتي ب(حمْدية).
فتش جرذون المساحة القابعة تحت المقاعد وقال: يمكننا تخصيص هذا كمخرن، كما كانت تفعل أمي بخزانة الملابس.
فراحت ملامح الفرح، واختفت اللمعة من أعينهم، بذكر اسم الأم، وتداركت فأرورة الوضع بقولها:
- هيا ما بكما، إذا رأت ماما هذا المنزل فسوف تفرح، لا وقت لدينا للحزن، علينا تجهيز منزلنا الجديد.

وراحت حمدية، وراح اليوم الأول في المنزل الجديد، بسرعة، ولم يتعب الإخوة بالتفكير بالمستقبل ولا الماضي، فناموا نوما عميقا لبقية النهار.

لم تكن بغداد هادئةً، إلا من الأعلى، حيث وقفت حمدية على عمارة تتبادل الأخبار مع صديقها لُبْلُب، وهو بلبل عراقي أبيض الأذن، له شغف بجمع الأخبار مثل الحمام.
لبلب: لقد فازت زهيرة على شُليتْ بالسباق.
حمدية: لقد توقع أبقع النتيجة قبل أشهر، ولم يصدقه أحد.
لبلب: طبعاً لن نصدقه، الجميع كان يراهن على فوز شليت. حمام قوي سريع، كثير الطيران.
حمدية: المفاجآت كثيرة بعالم الحمام يا صاحبي... صحيح ما أخبار كوري؟
لبلب: لستُ أدري، يقولون أنه هرب خارج بغداد بعد عودة أدلم...
فُزعت حمدية وصرخت: هاااا ؟ ادلم؟!
لبلب: ألا تعلمين؟ الجميع يتحدث بهذا، وبعضهم هرب لخارج بغداد مثل كوري بالضبط.
أمسكت حمدية كتفي لبلب وهتفت بوجهه: لحظ لحظة، ذكرني أين كان يسكن أدلم؟
أجاب لبلب وهو مستغرب من ردة فعل حمدية: بالسيارة الحمراء الشهيرة... مابك؟
صرخت حمدية: يا ويلي، ويلي عليك لماذا لم تقل أنه عاد؟
وطارت بأقصى سرعتها، وهي تتمتم بكلام غير مفهوم، ولم تسمع لبلب وهو يهتف بها:
- ما بك؟ نحن طيور، أدلم لا يحب أكلنا.

اسرعت حمدية، قدر ما يسمح لها جناحاها بالطيران، نحو منزل الجرذان، أو بالأصح، منزل أدلم المهجور. وكان جرذون عائداً من مكب النفايات القريب، حينما أبصر حمدية تطير فوقه، فناداها، فرحاً ليخبرها باسم منزلهم الجديد. لكنها صرخت عليه بأعلى صوتها:
- ليس لديّ وقت أخوانك بخطر يا غبي...
رمى جرذون ما جمعه من المكب، وركض بأقصى سرعة لديه، وزاده سرعة خوفه من فقدان عزيز عليه، كما فقد أبويه.

وصل جرذون للزقاق قبل حمدية، التي اعترضها سرب من الحمام أصر على الحديث على خبر ما. وأسرع جرذون للسيارة حينما سمع صراخ فأرورة الممزوج بالألم. قفز على الغطاء الأمامي للسيارة، وتجمد بمكانه، ازدادت ضربات قلبه الصغير، إلى أن اقترب من الانفجار.
صرخت فأرورة عندما رأته: اهرب اهرب بسرعة!!
لكنه تجمد جسده وعقله عجزا عن هذا. كان ثعبان عملاق أسود اللون يعصر فأرورة بذيله، بينما يضع نصف فأرور بفمه ويحاول وضع النصف الآخر.
جاءت حمدية وراحت تصرخ عندما أدركت استحالة إنقاذ الجرذين:
- تحرك تحرك اهرب.
لا استجابة من جرذون، الذي بقي جامداً في مكانه كالحجر، تتالت على خده الصفعات من جناحي حمدية، لترجع إليه وعيه، فركض هارباً متعثرا بذيله، وحمدية تصرخ من خلفه بعدما رأت انعكاس شكله في عيني أدلم:
- اهرب إلى أقاصي الدنيا، أخرج من بغداد إن استطعت أدلم لا يترك فريسة حددها إلا ويأكلها... اهربببب.

الفصل الثالث

إنّ أقوى غريزة لدى الجرذان هي غريزة البقاء. فهي الغريزة التي حثت الإخوة على الخروج، وهي ذاتها التي جعلت جرذون يهرب بلا توقف لأيام. منذ اللحظة التي هرب بها جرذون، تاركاً أخويه خلف، لم ينم بذات المكان، مرتين، ولم يأكل منه أكثر من وجبة. لقد دفعه خوفه للركض لساعات، كل يوم، للابتعاد قدر الإمكان عن أدلم، الذي لم يغب عن كوابيس جرذون أبداً. ولم يملك جرذون هدفاً ولا مكاناً يهرب إليه، كل ما يريده هو الابتعاد والابتعاد. حتى أن الحيوانات غدت تساعد، عندما علمت (عن طريق حمدية) للهروب، مثل كيتي التي حملت جرذون على ظهرها لمسافات بعيدة حاميةً إياه من القطط الأخرى.

بعد عدة أيام من الهرب والركض المتواصل، عبر أغلب مناطق بغداد. وصل جرذون لبستانٍ ضخمٍ، عند أطراف بغداد، وكان تعباً، منهارا، هزيل الجسم، ومكسور الروح. فأرغمه جسده المنهك على أخذ قرارٍ يعاكس خوفه، وهو البقاء في البستان لمدة، كي يرتاح جسده، ثم يعاود الهروب إلى اللامكان.

وكان يعيش في هذا البستان، قردٌ رمادي اللون، طويل اللسان وكثير الحركة، يدعى (ريكو). لم يهتم ريكو في بادئ الأمر بالجرذ الذي جاء ليشاركه قاعدة عملياته، كما يسميها. واستمر بأفعاله من أكل مختلف محاصيل البستان، والقفز في كل الأرجاء، واعادة ترتيب تلك الأوراق الكثيرة، المكتوب على كل منها رقم محدد، وكان يسميها بخرائط الجنة.

واستمر عدم اهتمام ريكو بجرذون لأيام. فالأكل في البستان يكفي ألف جرذ وأكثر، والضيف الجديد لم يكن بمسبب ضجة على الإطلاق، فهو لا يتحرك تقريباً من تحت نخلة صغيرة على جانب البستان، فقد كان جرذون منكسراً، شديد الحزن والاكتئاب. وذا غريب على الحيوانات ذات العمر القصير، التي تميل عادةً لنسيان الأحداث الحزينة، وإكمال الحياة، كما فعل الإخوة مع موت الأبوين.

وفي يومٍ مشمسٍ، قليل الغيوم. جلس ريكو مسنداً ظهره على جذع شجرة رمان صغيرة. وراح يرتب بأوراقه المليئة بالأرقام غير المفهوم غايها لغيره، محاولاً صنع رقم محدد بباله يكتبه بهاتف كان قد سرقه من صاحب البستان، لكنه فشل كما فشل على مدار شهرين. فغضب، وترك الأوراق متناثرة، وصعد على ألواح الخشب الحاملة لكروم العنب.ولأنّ القردة كائنات شديدة الفضول عند الملل، فحث الملل ريكو على ضرورة التعرف على الضيف الحزين، فقطف له أجود الثمار، وراح لجرذون العاقد حلوة تحت النخلة.

قال ريكو وقد رمى الفواكه أمام جرذون: مرحبا. ري

رد جرذون بصوت ثقيل مُكرها كي لا يغضب القرد: أهلا...

ريكو: ما بال هذه النظرة الحزينة ؟ كل من هذه الثمار كيلا تموت. ري

جرذون: سآكل عندما أجوع... شكرا لك

ريكو: أحزينٌ على موت عائلتك؟

رد جرذون متفاجأً: كيف عرفت؟

ريكو: بربك من لا يعرف ؟ عندما تنام يمتلئ البستان بصراخك (فأرورة فأرورة ماما بابا) وما إلى ذلك. ري

اعترف جرذون آملاً أن يتركه القرد إذا عرف الحقيقة: أجل ماتت كل عائلتي، وأدلم يطاردني الآن، ولست أدري إلى أين أهرب.

ريكو: لا تدري إلى أين تهرب ؟ بالرغم من كونك جرذاً ؟ ياللغرابة. ري

جرذون: وهل كوني جرذ يفرق عن كوني أي حيوان آخر ؟

هتف ريكو وكأن جرذون مسّ خطًّا أحمر لديه: بالطبع يفرق، فأنتم تملكون غان. ري

تساءل جرذون: وما هذه غان ؟

ريكو بتعجب: ألا تعرف ما هي غان؟ ريي

جرذون: كلا، ولا أريد أن أعرف أرجوك ارحل الآن.

رد ريكو بغضب: إنها غان أيها الأحمق، جنة الجرذان، حيث الأكل والتكاثر والأمان... كل الجرذان يحلمون بها ويأتون لها من أقاصي الأرض، وأنت تقول أنك غير مهتم. ريي

حاول جرذون تهدئة ريكو: أنا حقا لا أعلم، لقد عشتُ مع عائلتي بأمان في منزل عائلة بشرية طوال حياتي، لذا لستُ أدري ماهذه الجنة.

ريكو: آه أنت ممل، وداعاً. ري

وابتعد ريكو قليلاً ثم فكر قليلا مع نفسه:

- ريكو ألم تقل لك أمك أن تساعد الحيوانات الأضعف منك ؟
فعاد راكضا على قوائمه الأربعة وهو يهتف: وجدتها وجدتها, سآخذك معي لغان، أنا أعمل على معرفة مكانها منذ شهرين، هربت من الزوراء لأجلها، ما رأيك ؟ تعالَ معي. ري
جرذون: وماذا سأفعل هناك ؟ أخي وأختي أكلهما أدلم،وأمي وأبي أكلهما قط شيطاني، ووحش مثل أدلم يطاردني.
ريكو: أليس هذا سبب كافي يجعلك تسعى للذهاب لغان ؟ هناك ستجد الأكل وتجد زوجة، وتنجبان أطفالاً، وهناك لن يصل لك أدلم، ألم تقل أنه شيطان، وغان جنة وأمي قالت لي أن الشياطين لا تدخل الجنة.ري
فكر جرذون قليلاً وقال: كلا، لا أريد أي شيء اتركني من فضلك.
همس ريكو بقلبه: لماذا يرفض هذا الصغير مساعدتي ؟ آهٍ لولا أمي.
ثم قال بجدية كاذبة:
أسمع يا صديقي، الموت أقوى شيء في هذا الكون، أنه أقوى من أشجع الأسود، وأقوى من أكبر الدببة. حتى البشر الذين هزموا كل الحيوانات وسيطروا على الأرض كلها كأنها حديقة لهم، يخافون الموت، ولا يمكنهم فعل شيء له. الموت يمس الجميع. ولا استثناء في هذه القاعدة. ري
ثم عدل وقفته ليبدو كبطل من أبطال دي سي وأكمل: فإن كان الموت يمس الجميع، ماذا ستفعل ؟ هل نجلس بحزن وانكسار على كل شخص يموت ؟، هكذا ستتوقف الحياة... يقولون أن الأموات ينظرون لأحبابهم من السماء، فإن وجدوهم حزانى حزنوا، وإذا وجدوهم فرحين فرحوا، هل تريد أن ترى احبابك حزانى ؟ قل لي هل تريد ؟ ري
جرذون: لا
ريكو: ٱذن انهض واصنع لنفسك حياةً مرضية حتى تموت وتلتقي بهم فيفرحون بحياتك. ري
ثم نظر لجرذون بحدة و اكمل: غدا تعالَ إلي، لنبحث عن غان. ري
وغادر بخطوات بطيئة متعمدة ليبدو أنه يملك كاريزما.

تردد جرذون كثيراً، بين الذهاب ودعمه، لكنه قرر الذهاب فيما بعد، مُقنعاً نفسه أن اذا وجدت غان فعلا فستكون خير مأمن من ملاحقة أدلم. وكان ريكو عندما جاءه جرذون، يرتب بالأرقام كعادته ويحاول البحث في خرائط غوغل عن الموقع المطلوب، ولكنه فشل كالعادة. ألقى جرذون السلام على ريكو، الذي يمهله

أي وقت وطلب منه إلقاء نظرة على الأرقام، ومحاولة مساعدته بإيجاد الخلل.
وبعد دقيقة قلب جرذون رقم (6) ليصبح (9)، وطلب من ريكو إدخال الرقم الجديد، وقد نجح. فقفز ريكو فرحاً وراح يرقص وهو يصرخ:
- أنتتت عبقري، عبقري يا صديقي الصغير، وانا الذي ظننتك غبي.ري
جرذون باستغراب: شهران كاملان ولم تفكر بقلب الستة، وانا ظننتك ذكياً جداً، بعد خطابك الرائع عن الموت
ريكو: أنا ذكي بالفعل، لكن ذلك الخطاب لم يكن خطابي، أنه ما قالته لي أمي حينما مات أبي، وقلن لربما ينجح بتقليل حزنك كما فعل معي. ري
جرذون: مخادع 😕
ريكو: دعك من التفاصيل هيا بنا إلى غان.

الفصل الرابع

لم يتحرك ريكو وجرذون بعد معرفة الوجهة مباشرةً. فكان لزامٌ عليهما إيجاد وسيلة تنقل آمنة، وبعيدة عن البشر وأدلم. وكان لدى ريكو فكرة عن هذه الطريقة. وعند غروب الشمس المحمرة، تحرك الصديقان الجديدان لبستانٍ مجاورٍ، أقل حجماً وأكثر كثافةً. كان البستان منزلاً لعدد كبير من الحيوانات، بدءً بالبط والدجاج، وصولاً للأبقار. منسجمةً في هذا البستان النابض بالأخضر من كل جانب. واعترت الدهشة جرذون، فلم يرَ بحياته كلها هذا العدد الضخم من الحيوانات تعيش مع بعضها بمكان واحد. وتساءل بنفسه عن الانسجام الذي بين هذه الحيوانات المختلفة الحجم والاهتمامات والأشكال.
نظر جرذون لريكو الذي كان يقود الطريق فسأله :
- عمن نبحث بالتحديد ؟
ريكو: عن صديقين. ري
لم يقدر جرذون على كبح فضوله فسأل: لماذا تُنهي كلامك دائما ب(ري) ؟
ريكو بحماس كأنه كان ينتظر السؤال: هل أعجبتك ؟ أنها عادة لغوية في موطني، نقولها دلالة لنهاية الكلام. ري

في بحيرة صغيرة وسط البستان(أقرب لحفرة مملوءة بالماء) كان زوج من البط وزوج من الإوز يسبح بماءها العاكس لأشعة الشمس الغاربة. وعندما لمحت البطة قدوم ريكو وجرذون أشارت للإوزتين وقالت:
- أوه لقد عاد صديقكما النشيط.
فطارا من البركة، ليحطا أمام ريكو، وقد اختبأ جرذون خلف ريكو خائفاً من حجم الإوزتين. ألقى ريكو السلام على الإوزتين، وهما الذكر وزاز ذو اللون الرمادي المبقع باللون الأبيض، والأنثى وزازة ذات اللون الأبيض الجميل، بقوله:
- كيف حالكما، لقد اشتقت لكما كثيرا. ري
فرد وزاز: ونحن كذلك، أين كنت مختفي كل هذه المدة... أتعمل على أوراقك وأرقامك ؟
ريكو: أجل أجل لكني أكملت العمل بمساعدة صديقي (أشار لجرذون)

وزازة: أوه لديك صديق جديد ما اسمه ؟
دفع ريكو جرذون وقال: أنه جرذون جرذ رائع.ري
ثم اقترب من الاوزتين وهمس: أنه يمر بفترة اكتئاب. ري
هتف جرذون بنفسه: سمعتك يا غبي 😑
وبعد محادثة سريعة لم يشارك بها جرذون، وتبادل للأخبار، قال ريكو: أريدكما أن تنقلانا لمكان ما. ري
وزاز : وأين هذا المكان؟
نظر ريكو للهاتف وقال: اسمه شارع المتنبي. ري
وزاز: أنه بعيد يا صديقي ونحن مشغولان...
فهتفت وزازة مقاطعة زوجها وهي كانت أكثر حبا لريكو إذ يذكرها بأخيها الذي تم ذبحه لنذرٍ ما: نم اليوم معنا وسوف ننطلق غداً.

لم ينم جرذون من الليل الطويل، إلا قليلاً. فعندما أراح جسده على عشب البستان الناعم الملمس، فكر وتكلم معه نفسه كثيرا بأقوال كثيرة منها:
- هل ستكون غان منزلاً لي ؟ أهي موجودة أصلا... ما أدراني لربما تكون حلما وهذياناً أنتجه عقل ريكو. أأنا أطارد أملاً زائفاً لأخفف عن نفسي... إذا لم تكن بموجودة ماذا سأفعل ؟ هل سوف استمر بالهرب إلى الأبد؟
وكان مزاجه يتقلب بين أمل غان، وواقع مؤلم يعانيه. ومازالت صورة فأرور وفأرورة محفورةً بعقله، تزوره كل ليلة.

أشرقت شمس الفجر، واستيقظت الحيوانات على صوت الديط الصاخب، وعلى الرغم من حماس ريكو، إلا أن جرذون ووزازة واجها صعوبة بإيقاظه. وتناول الجميع فطوره مبكراً واستعدوا للرحيل. قفز ريكو على ظهر وزاز وقال لجرذون:
- اركب على وزازة. ري
وعندما حاول جرذون فعل هذا صرخ به وزاز:
- أتحاول ركوب زوجتي ؟🤨 اصعد فوقي أيها الصلف.
ارتبك جرذون: ها هو قا...قال لي
وزاز: اقفز بسرعة.
وانطلقت الإوزتان عبر السماء الصافية.

ارتعب جرذون، وتمسك بريش وزاز وذيل ريكو، وارتعش جسده بالكامل من منظر الأرض من الأعلى، بينما كان ريكو مستمعاً، ضاحكاً وقائلا:
- طر طر، ري
بينما جرذون خائف ويرتجف: ألا تخاف ؟؟😰😰
ريكو: يا ليت لي جناحين، ري
وبعد أن تقيأ جرذون على وزاز، الذي وبخه. هدأ قليلاً وتمكن من رؤية المشهد البديع. كانت بيوت بغداد التي لطالما رآها جرذون عملاقة، صغيرةً، وكان البشر العمالقة لا يُرون إلا ما بصعوبة، فالتمعت عينا جرذون، وسحره المشهد الساحر، وابتسم بصدقٍ لأول مرة منذ موت أخويه.

هبطت الإوزتان في شارع المتنبي، أمام مكتبة قديمة، ما بها إلا بابٌ مغلق لا يعرف أحد إلى أين يقود، ودرج حجري ينزل لأسفل. تفاجأ الناس عندما رأوا قرداً وجرذاً يركبون إوزاً، وراح بعضهم يصور، مما أرغم وزاز ووزازة على الطيران قبل أن يودعهم ريكو. نزل الصديقان، كان ريكو متحمساً، فهو على بعد خطواتٍ من معرفة مكان غان، وتحقيق حلمه بالراحة الأبدية. بينما طغى على جرذون الخوف من المجهول. قاد الدرجُ الصديقين إلى غرفة كتبٍ قديمة تحت الأرض، كانت الغرفة صغيرة، مليئة بكتب قديمة مبعثرة بكل مكان. أحس ريكو بالاختناق وعدم الراحة من الضوء المنخفض وضيق المساحة.
صدر صوت خفيف بارد من أعلى كومة للكتب قائلا:
- ماذا تبتغون ؟
توجهت أعين الصديقين لسليمى، وهي البومة البيضاء اللون التي صدر منها الضوء، همس ريكو لجرذون بثقة:
- لا تتفوه بكلمة، سوف استخدم مهاراتي السحرية بالإقناع. ري
هبطت سليمى أمام ريكو الذي ظل ثابتاً لبرهة كأنه يخطط لأمر كبير. وبلحظة واحدة تغير تماماً، رطم رأسه بالأرض، وانزل الدموع بغزارة، وراح يتوسل ويترجى بسليمى لتخبره بمكان غان، ويقول كلاما كثيراً ممزوجاً بالدموع:
- أرجوكِ أرجوكِ دلينا على غان أتوسل إليكِ ، أقبل قدميك، أنا أترجاكِ، أقبل قديمك...
كان توسلاً بلغ أقصى مراحل الذل، حتى أن جرذون صُدم وقال بنفسه:
- أهذه هي طريقة الإقناع السحرية 🗿🗿

حاولت سليمى تجاهل توسل ريكو، لكنه لم يسكت ولم يبدِ أي علامة على التوقف. واكمل لدقائق كاملة بنفس الأسلوب، حتى أجبرها على الصراخ بوجهه:
- اسكت يا مزعج أنت قرد لن تدخل أصلا لغان حتى لو اخبرتك أين هي
لكنه لم يسكت وأكمل التوسل والبكاء بصوت أعلى وتوسلات أكثر، لتضطر سليمى على الصراخ:
- رباعي الأعين تعالَ بسرعة!
فُزع الصديقان عندما دخل كلب أسود ضخم الأنياب رشيق الجسم، وكان شكله والندبتان التين علتا عيناه يثيران الرعب بقلب كل من يراه، قالت سليمى:
- اخرجهما بسرعة.
استسلم جرذون، ولم يقدر على الحركة، وأيقن أنها النهاية، كانت الهالة المنبعثة من رباعي الأعين، تماثل هالة أدلم أو ربما تفوقه، فقال ريكو يائسا:
- انظري لهذا المسكين (اشار على جرذون) أدلم يطارده وإذا أمسكه، سيجعله عشاءً له. ري
صُدمت سليمى وأوقفت رباعي الأعين: قف... أأنت الجرذ الذي يبحث عنه أدلم ؟ لم يترك مكاناً ببغداد إلا وزاره ليجدكَ.
حاول ريكو استغلال الفرصة: أرجوكِ ساعدينا لابد لنا من مكانٍ آمن. ري
لم تحبذ سليمى دلهما على غان، لكن شكل جرذون المكسور الذي فقد القدرة على الحركة تماماً، جعلها تأمر رباعي الأعين:
- خذهما لغان... ولا ترجعا لهنا أبداً
رباعي الأعين: اركبا على ظهري وشدا أعينكما
فرح ريكو لدرجة أنه قفز على ظهر رباعي الأعين بلا تفكير وهتف: هيااا يا جرذون هيا... لحظة لماذا نشد أعيننا ؟ ري
رباعي الأعين: أطع واسكت.

الفصل الخامس

في فناء منزلٍ ضخم، أنزل رباعي الأعين جرذون وريكو، وغادر بصمتٍ. كان الفناء وايتاً والمنزل فسيحاً من طابقين، زُرعت في حوشه أشجار تسامر عليها عشاق الجرذان. وكانت الأرضية من (كاشي) رمادي اللون، والمنزل بشكل عام يوحي أنه بُني منذ عهدٍ قديم.

وقال غليظ وهو جرذ أسود اللون غليظ الحواجب، بارد الوجه لريكو وجرذون:
اتبعاني من فضلكما.
وقادهما بعيداً عن الباب الرئيسي للمنزل، لناحية اليسار، حيث يوجد باب حديدي مزخرف، طويل، وقال بهدوء:
- ادخلا.
قاد الباب لغرفة طولية التصميم، تناثر بها عدد كبير من الجرذان، أغلبهم من كبار وكبيرات السن. وكان هذا أكبر تجمع للجرذان يراه جرذون وريكو فراحا يتهامسان بتعجب عنه. وتسمى هذه الغرفة بغرفة الحكم، وهي الغرفة المسئولة عن تنظيم كل شيء داخل غان. ومنه تصدر كل القوانين والتنظيمات بعد مشاورات كثيرة بينه وبين المستشارين.

في آخر الغرفة، على وسادة حريرية، جلس جرذٌ رمادي اللون، بلحية كثيفة، ووجه هزيل، بهدوء، إنه زعيم غان المنتخب لخمس سنوات متتالية، ويُلقب بقاهر الموت. قال الزعيم بملامح ثابتة:
- أأنتما من طرف سليمى ؟
رد ريكو بتسرع: نعم نعم، أنا ريكو وهذا الجرذ المسكين هو جرذون المطارد من قبل أدلم. ري
وتعالت الهمسات وتوجهت الأعين نحو جرذون الذي بدا قلقاً من أعداد الجرذان الكثيرة. ولم يسكت ريكو بل تقدم نحو الزعيم أكثر وأكثر حتى منعه عجوز من الاقتراب أكثر وأكمل:
- انا أترجاك أن تسمح لهذا المسكين بالعيش في غان، فقد تحمل الأمرين، ليصل لهنا، لقد رأى كل عائلته تموت أمام عينيه. ري

انزعج الزعيم من وقاحة ريكو، غير أنه أخفى انزعاجه خلف ملامح وجهه الثابتة وقال: عيشه هنا مضمون متى ما أراد ذلك، ولكن ماذا عنك؟ لماذا لم تعد مع كلب سليمى ؟
صُدم ريكو وصرخ: ماذا قلتَ أيها العجوز!! لقد أمضيت سنين من عمري (كذب) في البحث عن غان، وساعدت هذا المسكين بالوصول، ثم تطردني بكل برود.ري
سمع جرذون همسات استهزائية من عدد من الجرذان الذين سخروا من ريكو لرغبته بالعيش بغان. ولكن جرذون لم يتفاجأ مثل ريكو، فقد عرف أن فكرة دخول ريكو لغان صعبة، لهذا أراد بشدة مساعدته كرد جميل، فظل يجهز خطاباً ببباله، طوال الطريق لهنا. فتقدم بخطل وقال بتلعثم:
- أرجوك يا سيدي، دعه يعيش في غان، أعلم أنه ليس جرذاً، لكنه طيب، وحنون، ولولاه لكنت الآن عشاءً لأدلم. وأظن أن جنةً مثل غان تحتاج لكائن أكبر من الجرذان حجماً لا عقلاً ليساعد الجرذان بأشياء كثيرة. فكرْ بالموضوع رجاء... أتوسل إليك.
لم يتوقع ريكو هذا الكلام من جرذون، فقفز باتجاهه وحضنه وهتف:
-أنت صديقٌ رائع. ري
حكّ الزعيم لحيته وقال: أقدر مشاعرك، ولكن إذا سمحت له بالعيش هنا فسوف تكون هذه سابقة لا مثيل لها ولا شبيه، أنها مسألة حساسة تمس تعريف غان بنفسه.
ثم نظر لجرذ عجوز جالسٍ بهدوء وقال: ما رأيك با شلينان؟
وشلينان هذا جرذٌ بعمر الزعيم تقريبا، ويُعرف بحكمته وبصيرته، وهو من قلة الجرذان التي تعتنق ديناً بشريّا، ويعتقد الكثيرون أنه سيكون خليفة الزعيم بعد مماته،
رد شلينان بهدوء: كما أسلفتَ هذه سابقة بتاريخ غان. ولكن قصة جرذون، انتشرت بين جرذان غان لدرجة كبيرة، والكثير منهم يتعاطفون معه، لذا أرى أن يُسمح له بالاقامة مؤقتاً، ونضع لجنة سرية تراقبه، وتبعا لتقريرها سوف نقرر. والله أعلم.
فقفزت عجوز وهتفت: كلا، يا زعيم، غان للجراذن وهي جنتنا، أرجوك لا تكن خرفاً مثل ذلك المسلم الخرف.
وتوجهت الأعين كلها نحو الزعيم الذي سيحسم الأمر بقوله: سوف نتبع بصيرة شلينان.

فقفز ريكو وجرذون فرحا وسعادةً، وشكرا الزعيم مرات عديدة، وبسرعة خارقة.

قال الزعيم لغليظ: دلهما على غرفة التسجيل.

فُتح الباب الرئيسي لغان، بوجه الصديقين، كاشفاً عن ممر ضخم يسير به مئات الجرذان، لكلٍّ منهم عشرات القصص والتجارب. ودع غليظ الصديقين، وقال لهم أنه سيعود لاصطحابهم لغرفة التسجيل بعد مدة قصيرة، ويمكنهما فعل ما يشائان، حتى يعود. كان ريكو شديد الحماس، لدرجة الانطلاق وحده تاركاً جرذون خلفه، مسببا هلعا بين الجرذان الذي ظنوه عدوا. بينما سار جرذون وحده متردداً، لا يدري إلى أين يذهب.

على يسار الممر ذي الأرضية السيراميكية، باب خشبي قاد جرذون، إلى ما يسميه الجرذان بالقاعة. وكانت القاعة الضخمة تحوي كل شيء مما رآه جرذو، ومما لم يرهُ، حانات ومقاهي، وباعة، أصر أحدهم على جرذون لشراء أكل منه، لكنه غادر متذمراً حين علم أن جرذون لا يملك أي نقاط. ومما أثار عجب جرذون في غان، كان طريقة استعمال الأشياء، فعُلب المشروبات، كانت تُستعما كمقاعد للجلوس، وأماكن التخزين، وكمناضد، وألف استعمال آخر. وكذلك القمامة التي يعاد استخدامها بالكامل.

جلس جرذون، على اسفجة غسيل مقطعة بشكل يشبه الاريكة، في إحدى المقاهي، وكان بجانبه جرذ أزرق، بدا أكبر سنًّا من جرذون بقليل. وسرعان ما جاءت له وردة وهي جرذة وردية اللون تعمل نادلة في المقهى، خطفت نظر جرذون كما خطفت أنظار كل من رآها قبله، وقالت بلطف لا يبدو مصطعناً:
- بماذا ترغب؟'
تردد جرذون قليلا ثم حكى: ليس لدي أي نقاط (عرف أنها عملة غان من البائع) أريد الجلوس فقط إن كان هذا مسموحاً.
ردت: هل أنت جديد هنا ؟
جرذون: جئت قبل قليل.
فنطّ الجرذ الأزرق من مكانه هاتفاً بحماس: هل أنت جرذون ؟

عرف جرذون بنفسه، وسعد أن الجرذان تعرفه، وطلب الجرذ الأزرق نبيذاً لجرذون وطعاماً وقال بفخرٍ:
- هذا نبيذٌ من صنع يدي ووصفة أجدادي، تذوقه هيا.
وتبادلا أطراف الحديث برهة من الزمن، وكان الجرذ الأزرق كثير الكلام، لكنه مهذب، ويعرف متى يسكت عكس ريكو. وبعد دقائق من الحديث زال أغلب قلق جرذون واندمج بالحديث عن غان، ربما كان هذا بسبب النبيذ، أو لربما بسبب طبيعة الجرذ الأزرق. وأشبع بطنه بقطعةِ بطيخ حمراء، جاءت بها وردة على طلب الجرذ الأزرق، مقدمة إياها بغطاء علبة ماء أزرق. وفي آخر الحديث قال الجرذ الأزرق وهو موشك على المغادرة:
- أنا شعلان العرقجي، صاحب ألذ نبيذ فيك يا غان، بيتي في الزقاق السابع من غرفة الشقق. زرني متى شئت.

جاء غليظ ، بعد دقيقتين من مغادرة شعلان. ومعه ريكو الذي كانت الغبطة تطفح من وجهه كالطفل. قادهما غليظ عبر الممر إلى غرفة كُتب عليها بخط جرذي شديد السوء(غرفة المكاتب). سار بهما غليظ بين المكاتب المكتظة. حتى بلغوا المكتب المنشود. همس ريكو لجرذون وهو ينظر لموظفة المكتب العجوز:
- لماذا كل العاملين هنا عجائز وكهول. ري
قالت العجوز وهي تقلب رزق الأوراق(قصاصات صغيرة بالواقع) :
- كيف أخدمكم ؟
غليظ: نريد بطاقة انتماء لهذا الجرذ، وبطاقة إقامة مؤقتة لهذا القرد.
أخرجت العجوز قصاصة صفراء وريشة عصفورة صغيرة غمستها بغطاء به حبر سائل، وأمرت جرذون بالاقتراب وقالت:
- ما اسمك واسم ابيك ولقبك
جرذون: جرذون بن شلوت، ولا أعرف لقبي
العجوز: أكلتك المفضلة ؟
جرذون: التمر.
العجوز: عدد أولادك:
- صفر.
.
.

.
.
وبعدما انتهت من تلك الاسئلة الكثيرة، أخرجت قطعة خشبية صغيرة، وكتبت عليها بخط أسوأ من خط اللافتة(جرذون بن شلوت= مواطن)
ورمتها بوجهه وقالت:
- تعال يا قرد
ورمت بوجهه ورقة صغيرة مكتوب عليها (قرد مقيم)
ريكو: ألن تسأليني؟ري
ردت العجوز بلا مبالاة: لا داعي لهذا، حتى الأعمى يمكنه تمييزك.

ومرت الأيام والأسابيع سريعةً على غان. وذاب جرذون في عالمها ذوباناً. وتعلق بها. لم يعد شخصاً مميزاً، بل مواطناً عاديًّا في غان. وحصل على شقة، وهي عبارة عن ميكرويف قديم. ولم يعد عاطلاً، إذ قَبِلَ عرض شعلان بالعمل معه في صناعة النبيذ مقابل قدر لا بأس به من النقاط. وكون علاقات وصداقات كثيرة، لكن بقي جرذون بالمرتبة الأولى. وبمرور الوقت اعتاد على العيش بغان التي لم تعد مجرد منزل، بل عالم متكامل. وعلى الرغم من مرور أشهر على عيشه في غان إلا أنه لم يخرج منها إلا مرتين، لسرقة العنب مع شعلان.
فالخروج يحتاج لترخيص من المكاتب. كذلك بدأت بوادر علاقة أكبر من صداقة تنمو مع وردة. وهي نادلة المقهى التي التقى بها بأول يوم في غان. ويمكن القول أن كل شيء كان يعتبره جرذون المكتئب مستحيل التحقق، قد تحقق بصورة أو بأخرى في غان.

أما ريكو، فقد حصل على بطاقة الانتماء، ليصبح أول حيوان غير جرذ يصبح مواطنا في غان. وعلى عكس التوقعات أحب سكان غان ريكو كثيراً. فتفوقت شهرته على شهرة جرذون نفسه. فقد أحبت الجرذان عفويته ونشاطه وأسلوبه المرح. وراح يعمل بالاستعراضات، وتحملوه سكان غان رغم أكله الكثير.

غير أن الليل لابد أن يأتي بعد النهار، والظلمة لابد لها من أخذ مكان الضوء، وكان هذا يوم الأربعاء، عندما أعلن ديوان الحكم عن خطر يهدد غان وأن

الزعيم سوف يُلقي خطاباً لشرح التهديد يوم الخميس. مما أقلق سكان غان، وعلى رأسهم جرذون وريكو الذين ظنا أن غان جنة لا يمكن لشيء أن يعكر صفوها.

الفصل السادس

امتلأت القاعة الرئيسية بالجرذان، تزاحمت الأجسام، وارتفعت الأصوات. الجميع هنا بانتظار خطاب الزعيم ذي الشعبية الهائلة. حتى أن الكثير من الجرذان جاءت مبكراً جداً، للحصول على مكان بالصفوف الأولى، مثل جرذون وشعلان، الذَين أخذا مكاناً جيداً بالصف الأول. أما ريكو فقد أخذته الأحلام، فلم يحصل على مكان إلا في الصف الأخير. تقدم الزعيم العجوز بهدوء وثبات على المنصة، حتى بلغ اللاقط الذي أخذ من العمال وقتاً طويلاً لإعداده. فبدأ الخطاب بلا مقدمات قائلاً:

- لطالما كانت غان ملجأً وجنةً لكل سكانها، وهذه الجنة لم تُبنَ من عدم، إنما بُنيتْ بأيدي وتعب وشقاء مواطنيها، وسوف تُحمى بأيدي مواطنيها كذلك... نعم! لابد لنا من حماية غان، ففي الأيام الماضية علمنا بوجود عدو يتربص بسكان غان، نحن لا نعرف شكله ولا هيئته بعد، لأن كل من رآه قد فارق الحياة... لكننا واثقون من عزيمتنا واصرارنا على عدم السماح لأي شخص بتهديد جنتنا، وتبعا لهذا فقد قرر ديوان الحكم بالإجماع إنشاء قوات الدفاع، لتكون مسئولة عن البحث عن هذا العدو وإنهاء تهديده تماماً. وباب التطوع مفتوح لكل من يرغب أو ترغب بالدفاع عن جنتنا ومنزلنا، وانا وكل ديوان الحكم نعمل بكل طاقتنا لأجل انهاء هذا التهديد، فنطلب منكم العون والمساندة، ولكم كل خير، وأراكم بخطاب النصر.

تفرقت الجموع بعد خطاب الزعيم، وتحولت الصفوف المنتظمة إلى مجاميع صغيرة تناقش الخطر. ومن هذه المجاميع، كانت مجموعة جرذون وشعلان، بعد انضمام ريكو ووردة لهما.

ريكو: لم أتوقع أن الجنة قد تتعرض لخطر. ري

ردت عليه وردة بهدوئها المعتاد: معك حق، في الوضع الطبيعي هذا نادر، فغان محمة جيداً، مكانها سري، وعدد الذين يعرفون عنها شيء قليل، إنها أقرب لإسطورة.

شعلان: لا تقلقوا سوف يتعامل ديوان الحكم مع هذا، لدي ثقة بالزعيم، إنه الأفضل أليس كذلك جرذون؟

لم يسمع جرذون السؤال، فقد كان شارد الذهن مذ نهاية الخطاب، فقالت وردة بصوت مرتفع قليلاً:
- أأنت بخير ؟
رد جرذون بعد دفعة من ذيل ريكو: سوف انضم لقوات الدفاع.
وردة: هل جننت ؟! لن أسمح بهذا، ليس لديك أي مهارة جسدية لأمر كهذا...
أيدها شعلان: إنها محقة، اترك الأمر لأقوياء غان، قد تكون قلقاً، لكن غان تملك من الأقوياء ما يكفي لحمايتها ويزيد.
سكت جرذون قليلا ثم قال ما بقلبه: إذا لم أنضم، أظن أني لن أسامح نفسي أبداً..... لقد مات والداي على يدي قط، ولم أقدر على فعل شيء، ومات أخي وأختي أمامي ولم أفعل شيئاً سوى الهرب، إذا ما تعرض من أحب لخطر فما أفعل شيء سوى الهرب والحزن،
ثم سكت قليلاً وأكمل: لقد عشت بغان أفضل ثلاث أشهر بحياتي، فلابد لي من الانضمام... لابد هذا.
لاحظ الجميع مدى إصرار جرذون فسحب شعلان ريكو بعيداً ليترك جرذون مع وردة، وقال:
- أوه، حسنا اذهب انت وودرة إلى دائرة التسجيل... ريكو تحرك يا غبي ألا تفهم الوضع ؟؟!

سار جرذون رفقة وردة، باتجاه غرفة المكاتب، صامتين. كانت الأجواء بالممر صاخبة كأول يوم جاء به جرذون لهنا، لكنه ليس بضيف هذه المرة، بل مواطن يسير للانضمام لقوات الدفاع عن هذه الجنة التي أعطته الكثير. كسرت وردة الصمت بقولها:
- لم أعلم أن موت عائلتك، كان مأساوي... امم كنت أعلم أنهم قتلوا لكني لم اجرؤ على السؤال...
جرذون: إي، كان صعباً، لكن غان قدمت لي الكثير، وجعلتني أعيش عيشةً رائعة، لهذا أنا عازم على تقديم أكبر قدر من المساعدة لهذه لغان.
لم تقدر وردة على الاعتراض، فعزيمة جرذون كانت حديدية، كأنه شخص مختلف تماماً، فساندته بقولها:
- إذن ابذل جهدك... لكن عدني أنك لن تخاطر بحياتك.
جرذون: لقد وصلنا للمكاتب.
سجل جرذون بقوات الدفاع، وعُين عضواً بالفرقة الثانية، ودُلّ عليها.

بلغ جرذون مقر قوات الدفاع منفرداً، بعدما ودع وردة التي حمل وجهها علامات الزعل لأنه لم يعدها بما رغبت. تكونت الفرقة الثانية من عشرة أعضاء، وكان قائدهم يديّا، جرذون عُرف أنه أقوى جرذ بمصارعة الأذناب بكل غان. ألقى يديا خطاباً سيئ التركيب، قليل البلاغة، كثير الحشو، محاولاً تقليد خطاب الزعيم، ثم طلب من الأعضاء الحضور غدا للبدء بأول مهمة للفرقة.

لم يعد جرذون للمنزل مباشرةً، بل راحَ هو وسكران إلى أقرب حانة لشرب بعض النبيذ. وسكران هذا صديق لجرذون، كان دائم القدوم لورشة شعلان لطلب النبيذ بسعر أقل من سعر الحانات. قال جرذون بعد أخذ أول رشفة من النبيذ:
- لم أتوقع إيجادك في قوات الدفاع، لا أظن سكراناً مثلك يهمه الدفاع عن غان.
سكران: ماذا تظنني بحق غان ؟ لكن معك حق لم أنضم إلا للحصول على راتب جيد، لقد طُردت من العمل فلم يعد لي مصدر دخل لشرب النبيذ ولا لإغراء الإناث.
جرذون: ألا تفكر بغير هذين ؟
سكران: عمر الجرذان يا صاحبي قصير، فلابد لنا من الاستمتاع بكل لحظة به قبل موتنا، فأفضل ثلاث مصادر للمتعة، هنّ الطعام والنبيذ والإناث.
جرذون: لو كان الجميع مثلك لانهارت غان على رؤوسنا.
سكران: هههه أظنك محق.
بعد مدة من الحديث الفارغ العديم القيمة، قال جرذون:
: يلا، سوف أذهب عليّ التجهز لغد.
سكران وقد بلغ الثمالة: تتجهز لوداع وردتك الجميلة ؟
جرذون: اخرس 😒
سكران: الكل يعرف أنها تميل إليك
جرذون: قلت لك كل خرا واسكت.
سكران: كُلها بدلاً مني فقد أشبعني النبيذ يا صاحبي العاشق،
وغادر جرذون ليترك سكران بمفرده وقد تمتم:
- آخ...جرذٌ أبيض مع جرذةٍ وردية، ماذا سينجبان آيس كريم فانيلا بالفراولة 😒😒.

الفصل السابع

أعلن ضوء الشمس المتسلل لغان عبر النوافذ قدوم الفجر. وأيقظ بائع القهوة من لم توقظه الشمس. شرب جرذون قهوته المعتادة، وهو متجهم، إذ أنه يشعر أن مصيبة سوف تحل قريباً. توجه جرذون لمقر الفرقة الثانية، حيث كان سكران مستلقيا على اسفنجة تُستعمل كأريكة،
قال سكران: ما به وجهك يطرد البركة؟
جرذون: سيحدث شيء...
سكران: شيء ؟ هل أنت بخير...
جرذون حلمتُ أن جثثا كثيرة ملقاة على الأرض...
سكران: هذا ما يحدث عندما تنام بعد السكر مباشرة، مرةً حلمت أن سبع إناث يجلدنني، لأني قلت لإحداهن تزوجيني.
جرذون: غبي😑😮‍💨
سكران: أقسم بغان أني لا أمزح... لربما تكون هذه لعنة الثمالة.

قسّم يديا أعضاء الفرقة لخمس مجموعات ثنائية الأعضاء، لتبدأ أولى مهام الفرقة الثانية، المسماة بعملية تمشيط الجنة، واشتركت الفرقة الثانية مع الخامسة والثامنة لتنفيذها، والهدف تمشيط كل شبر من غان والتأكد من عدم وجود مداخل غير مراقبة. تقسمت الثنائيات على أساس العلاقة بين الأفراد، فحُشر جرذون مع سكران بذات المجموعة. خرجا لفناء غان وراحا يمشطان الجدار الشرقي، وبقيوا يمشطون الأماكن المحددة حتى حلت الظهيرة.

تحت ظل شجرة الالبيزيا، جلس جرذون وسكران المتذمر من عدم وجود نبيذ مع وجبة الغداء. وكانت الوجبة بسيطة، وغير كافية للجرذان السمان، وهذا بسبب ارتفاع الأسعار، فمذ خطاب الزعيم أصبح الخروج أخطر، والحصول على ترخيص أصعب، مما دفع التجار لرفع الأسعار لتناسب الخطر.
سكران: لم أتوقع أن المهام بهذه السهولة، راتب بالمجان 😜
جرذون: أحمق، قالوا أن لدينا مهمة أخرى ليلاً، ألم تكن تستمع؟ لهذا طلبوا منا النوم مبكراً

رد سكران بانفعال كأنه ثمل(يبدو ثملا حتى وإن لم يكن كذلك): هاا! مهمة أخرى ؟ لدي موعد مع مزة ليلاً، يستحيل أن أفوت الفرصة.
جرذون: أنت حقا لا تأبه بالخطر ؟ غان كلها مهددة وأنت تواعد،
سكران: ما بك تتصرف مثل أمي، قلت لك ان قوات الدفاع سوف تهتم بهذا، سمعت أن الفرقة الأولى ضمت ظلوم، أنت لا تعرف ظلوم إنه من أقوى الجرذان بكل غان.
جرذون: أنت ضمن قوات الدفاع يا غبي
سكران: أقصد المحاربين من قوات الدفاع، أنا هنا من أجل الراتب والأكل المجاني، وأنت هنا من أجل... لحظة لماذا أنت هنا 🧐؟
غادر جرذون وهو يقول: الحديث معه يزيد التشاؤم ألف مرة.

أبدر البدر على غان، ولم يبدر النوم على جرذون وسكران، فأول ظل يفكر في كابوس الجثث ذلك، والثاني قد سهر الليل مع المزة التي واعدها. وفي الواحدة بعد منتصف الليل، اجتمع أعضاء الفرقة الثانية كلهم إلا سكران، استعداداً للمهمة. وكانت مهمتهم مرافقة تجار من شركة أبي ناكد لسرقة دكان يقع على بعد شارعين من غان.

وبعد توبيخ سكران الذي جاء ثملاً، انطلقت المهمة. حرك منظر الشارع والهواء الحر عديد المشاعر والذكريات داخل جرذون، الذي لم يخرج من جدران جنته منذ وقت طويل. وعلى عكس تحرك جرذون بالشارع سابقاً، كان تحرك جرذان غان منظماً ومخططاً لكل تفاصيله، فساروا في طرقٍ مختارة بدقة، وتحركوا وفق تشكلية كانت ستكون مثالية لولا سكر سكران وقلق جرذون الذي جعله ينسى موقعه في التشكيلة. بينما سار ريكو وحده قفزاً.

وصلوا الجرذان للهدف. كان الدكان مغلقاً بباب حديدي خلفه باب زجاجي، فتقدم أحد تجار الشركة، وأخرج سلكا معدنيا رفيعاً، وأدخله بفتحة القفل، وراح يحركه بدقة بدت لجرذون وسكران وريكو عشوائية، لكن هذه الحركة فتحت القفل، تعاون الجرذان كلهم لرفع الباب الحديد لأعلى قليلاً، ليعيد الجرذ ذات العملية في قفل الباب الزجاجي، ليصبح الدكان مستباح بالكامل من قبل الجرذان.

دخل ريكو وكل الجرذان للدكان، باستثناء جرذون وسكران، الذيْن كُلفا بحراسة الباب. وراح التجار يسابقون الزمن لجلب كل المتطلبات، وتحميلها في علبة ورق مقوى، سيحملها ريكو. وريكو لم يكلم جرذون طوال أيام، فقد تشاجرا، بسبب قرار جرذون بالانضمام لقوات الدفاع، ورغم أن جرذون يدرك قساوة ما قال لريكو (أنت لا تفهم شيئا فأنت مجرد طماع يريد الاكل والنوم) إلا أنه أبى الاعتذار، رغم محاولات وردة وشعلان.

سمع جرذون وسكران صرخات القائد العالية:
- جرذون سكراننن
فأقبلا بسرعة خارقة للداخل، كانت رؤوس الجرذان مفصولة عن أجسادها، وكل جثة كانت تعوم ببركة قرمزية صنعتها الدماء. وأدلم بطوله الفارع وسواده المرعب يقابل القائد يديا، ولسانه يلعب خارج فمه.
صرخ يديا دون أن يزيح نظره عن أدلم: أدلم هو عدونا، أدلم يستهدف غان، انقلا هذا للزعيم فوراً، تحركا.
تقدم أدلم الباب بسرعة بعدما سمع هذا، فقفز يديا بخاتمه الحديدي الذي يستعمله كسلاح قتال صارخا: لا تستهن بي أدلم.
لكن ضربة واحدة من ذيل أدلم كانت كفيلة بإسقاطه، وقال أدلم بصوت خبيث يسمعه جرذون لأول مرة:
- من كان يظن أني سألتقي بالبيضة البيضاء ههنا...
جعل صوت أدلم المرعب أمل الهروب جثة، فركع سكران على الأرض والدموع جرت من عينيه بكل جبن وقال بتوسل:
- سأدلك على غان سأدلك عليها... سأقودك لبابها، أرجوك اتركني أعيش أنا أتوسل إليك سأفعل ما تريد وأعطيك ما ترغب فقط دعني أعيش...
أمسك ذيل أدلم سكران، ورفعه لأقصى حد ورطمه بالأرض بقوة، ثم رطمه مرة ثانيةً، وثالثةً، ورابعةً حتى تحطمت أسنانه المصفرة داخل فمه، وصار أنفه نافورة دم، ثم رطمه بالحائط بقوة مضاعفة، وأعاد الكرة المرة تلو الأخرى، حتى تهشمت جمجمة سكران، وصارت عظامه قطعاً متناثرةً داخل جسمه. ورماه جثةً هامدةً لم تغادرها الروح، بل ماتت معها. ثم ألتف ذات الذيل حول جرذون، الذي لم يقدر على الحركة سنتمتر واحد مذ رأى جرذون، كأنه تمثال حجري، وعصره حتى كاد قلبه الصغير يخرج من فمه، فقرب الذيل جرذون لفم أدلم، حتى كان

الفرق بينهما مقدار شعرة، ودنا فم أدلم من إذن جرذون حتى دخل لسانه داخلها، وقال:
لكم أحب نظرة الخوف هذه أعشقها، أحسنتِ الهرب با بيضتي البيضاء، لم أشعر بهكذا حماس منذ مقاتلتي لذلك الجرو، لكني ورغم تشوقي لهذا لن آكلك، لأن قلبب متشوق لرؤية نظرة الخوف هذه عندما تراني أهدم غان على رؤوس ساكنيها، ستكون الأخير... ببساطة أنت المحليات بعد الطبق الرئيسي.
ثم رمى جرذون أرضاً وغادر تحت جناح الليل الداكن. فبعد دقائق من السكون المطلق راح جرذون بغضب وحرقة داخلية لا مثيل لها ، يضرب رأسه بالحائط بكل قوته ويصرخ على نفسه:
- جبان جبان جبان فاشلل بلا فائدة...
وظل هكذا حتى أغمي عليه.

الفصل الثامن

دبت الفوضى، وعمّ الاضطراب في غان، وتسارعت وتيرة الحياة، حتى أصبح شرب النبيذ والتجول رفاهية لا يحظى بها إلا قلة. وتم فرض ما يشبه التجنيد الإجباري على أغلب المواطنين والمواطنات، فتضاعفت أعداد قوات الدفاع لعشر أضعاف وربما أكثر. وانحرف تخصيص الموارد من رفاهية المواطنين سابقا، إلى بناء الدفاعات وتحصين الجنة المهددة. فأدلم وكما وصفه الزعيم بخطابه، الذي سُمي بخطاب الرؤوس المنحورة: تهديد وجودي لابد من التضحية بأغلى الأشياء، وأثمن الأرواح لدحره.

تحت ورق شجرة الالبيزيا وقف جرذون بظهرٍ محدب، يخيل لمن يراه أن جبلاً من الهموم يستقر على هامه، وبأعين تُظهر الانكسار والهزيمة كمرآة محطمة، يناظر وردة التي بهت لونها، وحولهما عمال البناء والجنود يسابقون الزمن لتحصين غان قبل قدوم أدلم. قالت وردة بصوت يوضح لسامعه مقدار ما ذرفت من الدموع:
- سوف تذهب حقا ؟ أرجوك أبقَ، لا جدوى من الذهاب وتعريض نفسك للخطر.
لم يرد جرذون بكلام، بل رد بقلبة امتزجت نشوتها مع الدموع... وراح جسده يبتعد رويدا رويدا عن وردة التي ما برحت مكانها. ليغادر جرذون غان كما غادر منزل آل علي وكما غادر السيارة منكسرا. لكن هذه المرة لم يرحل بغية الهرب بل بغية هزيمة عدو.

كانت وجهة جرذون واضحة محددة سلفاً. سار على مدار الساعات بحذر حتى بلغ شارع المتنبي، حيث مقر البومة سليمى. لم يتغير شيء في هذه الغرفة السفلية غير كمية الكتب، التي ازدادت كأنها تكاثرت لعدة أجيال. كانت سليمى كعادتها واقفة على تل الكتب تطالع كتبا، كُتب بلغة غير العربية، أوراقه الصفراء البنية تقول أنه قديم قدم هذه الغرفة. قالت سليمى بهدوء:
: هل لي أن أعرف لماذا عادت فريسة أدلم المفضلة ؟
جرذون: يقولون بغان إذا أردت معرفة شيء فاذهب لسليمى...

لاحظت سليمى نبرة جرذون المختلفة اختلافا جذريا عن المرة الأولى، فأبعدت الكتاب عنها وقالت بعدما ألقت نظرة شاخصة على جرذون:
- وماذا تبتغي؟ مكان هروب جديد ؟
جرذون: لقد ضقت ذرعا من الهرب، أرجوكِ علميني القتال بأسرع وقت.
سليمى: ها ؟ ههه هل جننت يا صغير ؟! تريد مقاتلة أدلم... لوهلة ظننتك إنسانا، هكذا أهداف مستحيلة لا تخرج إلا منهم.
ركع جرذون وكرر: أرجوكِ علميني
دنت سليمى من جرذون وقالت: اسمع يا صغير أنا أكره تضييع الوقت ككرهي للذي لا يقرأ، وأنت تطلب مني أن أضيع وقتي على هدف يستحيل تحقيقه ؟
جرذون: أنا مدرك لعدم امتلاكي لأي صلة تخولني لطلب شيء كهذا، لكن إذا وُجد شخص يمكنه تعليمي فلن يكون أفضل منك أبدا... أرجوكِ أريد إنقاذ غان بأي ثمن.
درات سليمى وجهها وقالت: سحقا 😧😧 رباعي الأعين
صرخ جرذون بيأس: أرجوكِ أرجوكِ!!
سليمى بعدما قدم رباعي الأعين: يريد هزيمة أدلم في شهر تقريباً، أعمل استحالة هذا لكن علمه أي فن قتالي يعطيه أي مهارة... عجبا من أحلام الجرذان والانسان.
جرذون: شكرا لك شكرا لك... لن أنسى جميلك مهما حييت.
سليمى: لن تحيا طويلاً أيها الاحمق 😐
رباعي الأعين: اتبعني

أُخذ جرذون لغرفة رباعي الأعين الواقعة في ذات المبنى. حيث بدأ بالتمارين الأساسية منذ أول لحظة. اليومان الأولان كانا يومي ركض بامتياز. إذ ركض جرذون لعشر ساعات في اليوم، وهو يرتدي أحجالا ومعاصماً حديدية تزن ضعف وزن جسمه. وفي اليوم اليوم الثالث والرابع تدرب على تجنب الهجمات، إذ كان رباعي الأعين يرمي على جرذون كرات تنس بسرعة كبيرة جداً، وأحياناً يركض خلفه كمن يريد قتله حقا، ولم يُسمح لجرذون بخلع الأحجال والمعاصم أبدا. وفي الأيام الثلاثة اللاحقة تدرب على حركات قتال بسيطة كاللكم والركل وغيرها. واستمرت التمارين على هذا النحو نصف شهر بلا راحة تقريباً.

وبعد عشرين يوماً من التمرين المضني. جاء الاختبار الأخير لجرذون، جلب رباعي الأعين قط شوارع لمقاتلة جرذون قتالا حقيقيا. قال رباعي الأعين:
- إذا لم تهزم آمذ فلا فرصة لك أمام أدلم، يمكنك خلع الأحجال والمعاصم الآن.
وقف جرذون وآمذ متقابلين كأنهما ملاكمان محترفان، وانقض كلٌّ منهما على الآخر فور قول رباعي الأعين:
- ابدآ...
ركض كل منهما باتجاه الآخر بسرعة، حاول آمذ سحق الجرذ الصغير بكفه، لكن جرذون قفز عاليا ووجه ركلة لأنف القط الحساس مما أفقده توازنه. لم يمهل جرذونُ آمذَ أي وقت، فاستغل عدم توازنه ليقفز علة وجهه ويوجه عدة لكمات على العينين والانف، مما أسقط القط.
رباعي الأعين:انتهى. أحسنت جرذون
جرذون بحماس: بفضلك. شكرا لك
آمذ: هل يمكنني الذهاب الآن ؟
رباعي الأعين: خذ علبة التونة وارحل شكرا لمجهودك
سأل جرذون بعدما تخلص من خوفه من رباعي الأعين تدريجياً على مدار الأيام:
- هل لي أن اسألك سؤالا؟ يا سيد رباعي الأعين
رباعي الأعين: اسمي رباعي الأعين بسبب الندبتين الواقعتين أعلى عيني مما يجعل الجميع يظن أنهما عينان اضافيتان.
جرذون: كلا كلا... ليس سؤالي عن اسمك بل عن أدلم... لقد ذكر أدلم أنه صارع جرواً، أأنت هو؟
رباعي الأعين: نعم، كان هذا منذ مدة طويلة.
جرذون: أأستطيع أن أعرف من يكون أدلم ؟ ولماذا هو هكذا ؟
رباعي الأعين: لستُ بعارف كل تفاصيل حياته، لكن الذي أعرفه أنه تربى في منشأة بشرية مثلي تماما، لتدريبه على القتال في المنافسات التي يقيمها البشر، فكانوا يكافئوه إذا هزم عدوه وهزمه... ويعاقبوه إذا لم يفعل، فتحول بمرور الوقت لوحس يستمتع بقتل الحيوانات بعد تعذيبهم، ببساطة لقد برمجه البشر على هذا.
جرذون: وعلامَ برمجوك أنت ؟
رباعي الأعين: على طاعة سيدي مهما كان وتنفيذ ما يطلب، هل اكتفيت من اسئلتك ؟

جرذون: آخر آخر سؤال 😶 هل تؤمن بالشياطين ؟ أنا متأكد أن أدلم منهم
رباعي الأعين: لست أدري إذا كان للشياطين وجود، لكن إذا كانوا موجودين فهم صناعة بشرية خالصة.
جرذون: اممم أظنك محق.
رباعي الأعين: إذا أكملت اسئلتك فاذهب لسليمى فوراً.

الفصل التاسع

كعادتها كانت سليمى تقرأ الكتب، حين دخل عليها جرذون، لكنها لم تكن وحدها هذه المرة، إذ كان يجلس عند الزاوية بوجه أقل بشاشة وعلى وجهه ظهر خجل نادرا ما يحمله هذا الشخص. هتف جرذون متفاجئً:

- ريكو ؟!!

ريكو: أهلا.ري

قالت سليمى لريكو: هيا قل ما تريد تكي ندخل بصلب الموضوع.

تردد ريكو قليلاً ثم تقدم ببطء وانحنى وهتف: أنا آسف ري لقد هربت لم أقدر على تحمل رعب أدلم، لقد كنت جبانا وآسف على ما بدر مني أرجوك دعني أساعدك بحماية غان فأدلم مما سمعت عن حمدية قريب منها. ري

جرذون بهدوء: لا تقلق كنت أعلم أنك سوف تهرب وانا آسف على كلامي لقد أسأت إليك.

فرجعت البشاشة لوجه ريكو واندفع ليعانق جرذون بكل قوة.

قاطعت سليمى اللحظة العاطفية بقولها: حسنا لنعد للأساس، تريد سلاحاً لهزيمة أدلم أليس كذلك ؟

جرذون: نعم لا أظن أن شيئا عاديا يمكنه هزيمته.

ريكو: صحيح.ري

سليمى: لا توجد أسلحة كثيرة يمكن لجرذ حملها، فكل ما أفكر به هو (شفرة الرسام السماوي)

ريكو: ياله من اسم رائع 🤩🤩ري

سليمى: إنها شفرة صنعتها الاستخبارات العراقية إبان حكم صدام حسين لتصفية المعارضين أي جرح مهما كان بسيطا، سيجلب بعد الموت بشكل طبيعي بعد ثلاث ساعات.

جرذون: بثلاث ساعات سيدمر غان كلها.

سليمى: يمكن تقليل هذه المدة عن طريق مادة خاصة مخزنة مع السلاح... يمكن أن تجعل المدة تقل من ساعات لدقائق.

جرذون: وأين نجد تلك الشفرة؟

سليمى: هنا تكمن المشكلة، الشفرة تستخدم كسلاح لحماية العائلة الحاكمة في لولبير...
ريكو مقاطعاً: لولبير؟ ما هذه أكلة ؟ ري
سليمى: بكلمات يمكن لعقولكم الصغيرة فهمها لولبير هي غان لكن للدجاج ومركزها في قصر من قصور صدام حسين المهجورة.
ريكو: ماذاا توجد غان للدجاج ؟؟
جرذون: لم أسمع بهذا أبداً.
سليمى: ليس الجرذان وحدهم من يحلم بمسكن آمن، يمكنني أن أدلك على لولبير لكن عليك إيجاد خطة لسرقتها، غدا سوق تدلك حمدية عليها.
ريكو: أنا سأذهب معه. ري
جرذون: كلا...
ريكو: مازلت زعلاناً مني كما توقعت.ري
جرذون: بالتأكيد لا، أريدك أن تذهب لغان وتتأكد من مجيء أدلم وتخبرني بأسرع وقت اذا جاء... وانا سأفكر بخطة لسرقة الشفرة.
همست سليمى لنفسها: لقد نضج هذا الصغير بحق...

في فجر اليوم التالي، انطلق ريكو نحو غان. بينما التقى جرذون بحمدية التي اعتذرت له عن حادثة السيارة اعتذاراً لا يبدو أنه يحمل أي نية أسف حقيقية. وقادته مقابل كيس مكسرات إلى قصر قديم يبدو خالياً، وتركته قربه وطارت بمجمل الأخبار التي قدرت على سرقتها من لسان جرذون.

كان القصر مهترئاً، درجات الدرج التي كانت فيما سبق فخمة غدت محطمةً، والجردان أمست سبورات للكتابات العشوائية. ولكن جرذون لم ينتبه لكل هذا، إذ بقي يدرس خطته ويراجعها بباله. ويحاول تطبيقها بأفضل شكل. إنها الخطة التي قالت عنها سليمى أنها خطة لم يفكر بها لا ذكي ولا غبي.

حين صعد الدرج كان بانتظاره ثلاث ديكة ضخام، امتنعت عن أخذ وضعية هجومية لاستخفافهم بالجرذان. قال جرذون وقد رفع يديه عاليا:
- جئت من طرف سليمى للقاء حاكمة لولبير.باق
رد قائد الديكة وهو ديك أحمر ضخم الجثة: ماذا تريد أيها الوغد الصغير.باق

أخرج جرذون ورقة عليها ختم سليمى وقال: إنه شيء لا يمكنك حله لابد من لقاء الحاكمة... انظر أنها توصية من سليمى.باق
عاين الديك الختم جيداً ثم قال: لا شك بهذا أنه ختم سليمى... خذوه للحاكمة. باق

اقتيد جرذون عبر ممرات لولبير. كان الريش متناثرا بكل مكان، وصدى بقبقات الدجاج يملأ القصر بالكامل، حاله حال صياح الديكة، الذين يتشاجرون على أصغر الأشياء واتفهها. فكانت لولبير بنظر جرذون فوضوية بعيدة كل البعد عن الجنة. وصعد الدرج للطابق الثاني ومعه ديكان يلازماه.

كانت الزعيمة دجاجة رمادية اللون، تناثر على جسمها بعض الريش الأبيض، وكانت بدينةً سمينةً، حجمها يعادل حجم دجاجتين أو ثلاث. ولم تكن متواضعة كحاكم غان، إذ كانت ترى نفسها أفضل الدجاجات وأكثرهن تميزاً، ويعود ذلك لاختلاف نظام الحكم، فلولبير تُحكم وراثياً، عبر أبناء وبنات مؤسس لولبير.
قالت الحاكمة وهي تشير لبعض الفراريج بتقليم أظافرها جيداً:
- ماذا تريد أيها الجرذ؟ وما علاقتك بسليمى؟
رد جرذون وقد حمل قلبه بعض القلق: لستُ جرذاً انا دجاجة. باق
الحاكمة بتعجب: هاااا ؟؟
جرذون بثقة أكبر: كما سمعتِ أنا أؤمن أني دجاجة وولدت بالخطأ جرذا وروحي روح دجاجة وأريد العيش في لولبير وخدمة حاكمة الدجاج... حتى أني افكار بتبني بعض الصيصان.باق
تعالت الضحكات الهستيرية من كل مكان حتى من أكثر الدجاجات والديكة رصانةً، وأكمل جرذون بسرعة:
- لدي ورقة من سيلمى تؤكد هذا أنا أترجاكِ أن تقرئيها...
فتحت الحاكمة الورقة التي كُتب عليها: إنه مجنون يظن نفسه دجاجة اسمحي له بالعيش عدة أيام كدجاجة وسوف يهرب وحده. لقد ازعجني حقاً. وشكرا.
فضحكت الحاكمة مع جموع الدجاج أكثر وأكثر ثم قالت وهي لا تنفك عن الضحك:
- تظن أنك دجاجة رغم 😂😂العفو تظن أنك دجاجة رغم عدم امتلاكك 😂😂... عفوا عفوا، تظن أنك دجاجة رغم أنك لا تملك منقاراً ولا ريشاً ولا اجنحة ولا تبيض حتى ؟

رد جرذون وهو بالكاد يمنع نفسه من الضحك على نفسه: نعم، أنا وإن لم أكن أملك كل هذه الأعضاء، لكني أملك روح دجاجة، باق.
الحاكمة: 😂😂😂 حسنا حسنا سأسمح لك بالعيش هنا... اذهب وافعل أي شيء دجاجي 😂😂 العفو العفو...
جرذون: أريد خدمتك، أظن أن أفضل طريقة لمعرفة حياة الدجاج هي بالعمل قرب حاكمة الدجاج،باق
الحاكمة ومازالت تضحك بأعلى صوتها: لم أضحك هكذا منذ أن كنت كتكوتةً صغيرة آه... أحسنت قولا تعال غدا لخدمتي.
ثم أشارت لدجاجة بيضاء كانت تضحك كباقي الدجاج وأمرتها بتجهيز عش لجرذون. وكان جرذون يهتف بداخل نفسه:
- نجحت الخطة نجحتتت، لا أصدق أنهم بهذا الغباء.

كان اليوم الأول لجرذون في لولبير غير مجدي. لم يقدر على تقبل أكل الدجاج، وقضى بقية اليوم بتلبية طلبات الحاكمة التي لا تمر دقيقة إلا وقد طلبت شيئا جديداً. وعلى عكس ما توقع، لم تكن شفرة الرسام السماوي مخبئةً في غرفة سرية أو ما شابه ذلك، بل على العكس تماماً، كانت مكشوفة للجميع، إذ كانت الشفرة التي تبدو للوهلة الأولى كأي شفرة أخرى معلقة مع علبة تحوي مادة سائلة على الحائط خلف وسادة الحاكمة، كأنها ميدالية أو جائزة ما. ولكن وعلى الرغم من كونها مكشوفة لم يقدر على الاقتراب منها إطلاقاً، فغرفة الحاكمة لا تخلو ابدا من الديكة والعاملات المستشارين والمستشارات.

وتكررت أحداث اليوم الأول في اليومين الثاني والثالث. فأخذ جرذون يفكر بسرقتها أمام ناظر الجميع، لكنه غير رأيه بعدما أقنع أحد الديكة بلعب المطاردة معه ليقيس سرعتهم، واستنتج أنهم سيمسكونه بكل سهولة. وفي اليوم الرابع وبينما كان جرذون يدلك قدمي الحاكمة، سُمعت نقرات على زجاج الشباك الكبير، فأرسلت الحاكمة ديكا للتحقق من الأمر، فلم يجد شيئا، واستمرت النقرات حتى أمرت الحاكمة جرذون من التحقق بقولها:
- خدامي اليوم عميان.
فإذ بجرذون يرى حمدية، التي راحت تصرخ وتحرك جناحيها لتشرح ما تقول:
- غان تتعرض لهجوم... جاء أدلم.

وأشارت لأسفل حيث كان كان ريكو. ففزع جرذون ولم يتمالك نفسه. فتح الشباك وصرخ بأعلى صوته:
- تعالواا بسرعة إنها كارثة كارثة بحق!!
فأتت جميع الدجاجات والديكة من كل جانب، وفي تلك اللحظة ركض جرذون باتجاه الحاكمة، وحينما اقترب منها، استخدم كرشها الضخم منصة قفز، ليقفز ويمسك الشفرة وعلبة السائل. وفي تلك اللحظة هجمت عليه الجميع بلا تفكير أو كلام. وبدا جرذون كالاحمق بالنسبة للدجاجات عندما هرب باتجاه الشباك بدل الباب، وحينما كانت مخالب أحد ديكة على بعد شبر واحد منه، قفز جرذون من الشباك كمن يريد الانتحار. لتمسك حمدية بذيله قبل الاصطدام بلحظة تقريبا.
فركب ريكو وانطلقا لغان ركضاً.

الفصل العاشر

تناثرت الجثث على الأرض، وتلطخ السراميك بالدماء، ووقفت قوات الدفاع عاجزةً، لا حول لها لهزيمة هذا الوحش ولا قوة. هرب العديد من الجرذان ببنما فشل آخرون بهذا. دخل ريكو من باب الفناء المفتوحة على مصراعيها. وفي ممر تقابل مع أدلم...
أمر جرذون: ريكو اتركه لي، اذهب واغلق الباب والنوافذ لكيلا يلاحظ البشر.
ريكو وهو يركض: لا تمت.ري

وقف جرذون أمام أدلم الذي كان فاهه مغطى بالدماء، دماء عشرات الجرذان الذين لقوا حتفهم. بحركة سريعة رفع جرذون عتلة الشفرة ليظهر النصل الصدئ، وصب عليه السائل عديم اللون، واتخذ وضعية هجومية. هتف أدلم مشمئزاً:
- أين خوفك ؟ أين رعبك مني ؟
جرذون: أنا خائف... على الذين احبهم لا منك... سأهزمك هنا
ضحك أدلم بصوت عالٍ أجبر قوات الدفاع اليائسة على التوقف وقال: تهزمني ؟ بيضةٌ بيضاء تريد هزيمتي... يا للاشمئزاز، لم أعد مهتما بك إن راح خوفك.

اندفع كلا العدوين باتجاه الآخر، وجه أدلم عدة ضربات سريعة وساحقة بذيله، استطاع جرذون تفاديها بمهارة. وكان جرذون لا يكتفي بالدفاع بل يهاجم كذلك، حاول جرح أدلم مرات عديدة لكنه فشل.
أدلم: تريد تدليك حراشفي ؟
جرذون مع نفسه: شفرة صدئة مثل هذه لن تخترق حراشفه... ماذا أفعل؟
وكان الزعيم وعدد من الجرذان يشاهدون جرذون يقاتل أدلم منفرداً بكل شجاعة، فأثار هذا في نفوسهم حماساً ، فانطلقت قوات الدفاع لمساندة جرذونُ بأمر من الزعيم.
أدلم: إذا لم تستطع الهجوم فسوف تتعب من القفز في الارجاء وستلحق بأخويك
جرذون: إنه على حق كيف اجرحه بحق الجحيم؟
وحينما تذكر أخويه خطرت بباله فكرة مجنونة فأمر الجرذان كأنه قائدهم:

- اهجموا كلكم دفعة واحدة!!
فنفذوا هذا بلا تردد، وقفز جرذون من خلفهم لأعلى ما يقدر مقابلا فم أدلم، وفي لحظة واحدة صار نصف جسمه داخل فم أدلم.
فزالت الشجاعة من الجرذان وفقدوا الأمل، ولكن وبلحظة واحدة انفجر فم أدلم بالدم وفُتح ليهرب جرذون منه. وصرخ:
- دلكتُ جسمك من الداخل هذه المرة... والآن اهربواااا
ركض جرذون هارباً وخلفه الجرذان غير مدركين لسبب الهروب، فأوضح جرذون صارخاً:
- الشفرة تحوي سمًّا قاتلاً كل ما علينا هو الهروب حتى يموت.
لتبدأ لعبة مطاردة أخرى، بكل أرجاء غان. لاحق أدلم جرذون دوناً عن سواه، ودمه يفور غضباً واحمرت عيناه لا من السم بل من الغضب والهيجان. أدرك جرذون أنه بحاجة لضربة ثانية لتسريع مفعول السم، فسكب ما بقى من السائل على الشفرة، ووقف ثابتا، بينما كان أدلم يقترب منه بسرعة كجرافة ضخمة.
وبهدوء يثير الاعجاب وبكل ما حمل جسده الصغير من قوة، رمى جرذون شفرته بدقة مذهلة لتخترق عين أدلم مثل رصاصة يستحيل صدها. فراح أدلم يتقلب على الأرض وغضبه يزداد وألمه يشتد في مل لحظة تمر، وفي هذه اللحظة الحاسمة قفز ريكو من أعلى المروحة وخصره مشدود بحبل طرفه الآخر مشدود بالمروحة، فأمسك بصعوبة ذيل أدلم المتقلب، وصرخ:
- شغل ريييييييييي
فشغل الزعيم المروحة بأقصى سرعتها فدار الجسدان حتى بلغت المروحة سرعتها القصوى، وعندها أفلت ريكو ذيل أدلم، ليحلق بعيداً حتى ارتطم بالحائط محطماً بالكامل.